٤- سماء بلا نجوم

شاهقة، شاهقة للغاية، لكنها تبدو في الوقت ذاته قريبة للغاية، كما لو أنه يمكن مد اليد ولمسها فحسب، إنها قطعة من الخيال بألوانها الأرجوانية والخضراء الممتزجة، يسير بينهم ذلك المذنب الهائم، ويحيط بكل ذلك النجوم البراقة لتنير سماء الليل بمظهر لم ترَ أي شيء بجماله من قبل، حتى أعلى جبل المرايا، لم يكن المظهر بتلك الروعة، تخيلت نفسها لوهلة تقف أعلى تلك الألوان وبين تلك النجوم، لا شيء يحيط بها سوى سماء الليل، مدت يدها في محاولة للملس ما تراه، تعلو فمها ابتسامة من أصابته تعويذة سحرية تسببت في إيقاعه في غرام أحدهم أبد الدهر، لكن من وقعت هي بغرامه هو ذاك المظهر اللامع أمام عيونها في تلك اللحظة.

"إني أرى أسدًا"

انقطعت تخيلات "كيرا" موجهة نظرها لأدريان الجالس بجوارها ممدا قدميه أمامه وينظر للسماء من فوقهم، بينما كانت هي مربعة القدمين، كانا يجلسان أعلى تلك الأرض الصلبة التي لا يعلوها أي شيء سوى السماء الواسعة، إنها كالشرفة الواسعة، توجد بأعلى مكان بالقصر ويتسلل إليها أدريان دوما، بالطبع سيفعل ذلك؛ فالمظهر أعلى تلك الشرفة من أجمل ما رأته "كيرا" بحياتها، أبعدت "كيرا" يدها عن السماء واضعة إياها بجوارها على الأرض، ثم أخذت تحاول البحث بعينها عن ذلك الأسد..

"أين هو؟! لا يمكنني رؤيته"

أردفت "كيرا" باستياء بعد محاولة بحث لا بأس بها.

"هناك"

أجابها أدريان مشيرا بالسبابة لأحد أجزاء السماء، ضيقت "كيرا" عينيها محاولة تجميع صورته من النجوم حتى رأته بالفعل، بدا كأسد زائر على وشك الهجوم على فريسته، وبدت ألوان ظاهرة الشفق الخضراء والأرجوانية كنيران تتصاعد منه لتزيد لمظهره مزيدًا من المهابة والعظمة، بدا كالمحاربين القدامى العظماء.

"لقد رأيته، إنه مذهل"

قالت "كيرا" بعيون مبهورة، أومأ أدريان بسعادة.

"أتعلم أن قديما كان المحاربون العظماء من الشعبين يستطيعون التحول لأسود فتاكة، لم يُرَ من قبل أسود في ضخامتها أو شراستها أو وحشيتها، قيل إن القائد كان يتحول لأسد مرعب يشيب شعر البشر وجلا، ويحول باقي جيشه لأسود لا يستطيعون مخالفة أوامره أبدا، قيل إن بمجرد دخوله لأي مكان، فإن الفرسان يلقون سيوفهم ودروعهم أرضا ويتوسلون إليه كي يتركهم أحياء فحسب."

كان أدريان ينصت باستمتاع ثم أجاب ضاحكا:

"يجدر بنا أن نصير أسودا قائدة يا "كيرا" ونغزو العالم"

"فكرة لا بأس بها، ولكني سأكون أنا القائدة الأعلى فكلانا يدري أنك تستمر بدوني كثيرا"

ضحك أدريان:

"عمَّ تتحدثين؟! لا تمتلكين نصف المهارات القتالية التي أمتلكها"

"لا تظن ذلك، لأنك غششت من قبل لتهزمني في الرماية"

تساءلت "كيرا" بتحدٍّ.

"لا أظن ذلك، إنها الحقيقة التي عليك التعايش معها"

أجاب أدريان بثقة:

"مباراة باليد أنا وأنتَ الآن"

"ماذا؟! كلا أنا لن أقاتلك!"

لماذا أهو خائف من الخسارة؟! فكرت "كيرا" بسخرية:

"كما تفضل ففي كل الحالات كلانا يعلم أني من كنت لأنتصر"

قالت "كيرا" بثقة.

"هذا غير صحيح"

"إنه كذلك"

"كلا، إنه ليس كذلك"

"إنه كذلك حتى تثبت عكسه"

"أنا لن أقاتل فتاة"

"يبدو أنك خائف من تلك الفتاة"

"أنا لست خائفًا"

"بلى أنت كذلك"

تنهد أدريان ثم وقف مردفا:

"حسنا كما تودين، لا تقلقي لن أقاتل بضراوة"

"أوه، أرجوك لا تفعل ذلك، فلا أريد أن ألقى حتفي"

أجابت "كيرا" ساخرة وهي تقف متخذة وضعية القتال.

""كيرا"، حقا لا أريد أن أؤذيك دون عمد"

لم يكمل أدريان جملته حتى بدأت "كيرا" بتصويب قبضة يدها بقوة تجاه وجهه، تلافى أدريان الضربة متخذًا وضعية دفاعية، فاصطدمت قبضة "كيرا" بذراعه عوضا عن وجهه، بدا أدريان منزعجا بسبب ذلك، فابتسمت له "كيرا" بانتصار، استمرت محاولات "كيرا" لإسقاط أدريان عدة مرات، انتهت دوما بتفادي الضربات أو الدفاع، خاصة وأن أدريان لم يحاول تسديد أيَّة ضربة تقريبا، لم يعودا يقفان حيثما كانا يقفان في البداية، بسبب محاولات تسديد الضربات المستمرة.

"كن رجلا يا أدريان وحاول الهجوم عوضا عن الدفاع المستمر هذا"

أردفت "كيرا" من بين ضرباتها.

"أنا أنتظر اللحظة المناسبة"

"تنتظر اللحظة المناسبة؟!"

ضحكت "كيرا" ساخرة.

"يا لك من أبله، تريد الانضمام في الجيش ولا تستطيع مبارزة فتاة، لمعلوماتك يتم تجنيد الفتيات، ماذا ستفعل إن أمرك قائدك بمقاتلة إحداهن، أستخجل وتتعلل بأنك لا تقاتل الفتيات؟!"

غيرت "كيرا" صوتها ليكون مشابهًا لأدريان حينما يتحدث، بدا على أدريان الضجر، وبدأ محاولة تسديد ضربات هو الآخر، بدا منفعلا وغشيها بعض الشيء، استمر الوضع كما هو دون فوز أي منهما، بدأت "كيرا" تشعر بالملل، لكن ما هذا؟! لقد أدى انفعال أدريان الزائد لاقترابه من الحافة دون وعيه بذلك.

"يا فتى توقف"

"ماذا أخارت قواك يا ابنة عمتي بهذه السرعة؟!"

"ستسقط أيها المغفل!"

أجابت "كيرا" بضجر محاولة لفت نظره لاقترابه من الحافة بدرجة خطرة، نظر أدريان خلفه ليجد أنها محقة، ابتعد سريعا عن الحافة واقفا بجانب "كيرا" وهو ينظر جهة الحافة بعينين واسعتين.

"أأنت على ما يرام؟!"

تساءلت "كيرا"، فأجابها أدريان بإماءة رأس.

"حسنا، هذا جيد!"

أنهت "كيرا" جملتها بضربة من قبضة يديها جهة وجه أدريان أسقطته أرضا، أمسك أدريان وجنته التي أصابتها الضربة متأوِّها، وضعت "كيرا" يديها على جانبي خصرها مبتسمة بانتصار.

"هذا غير عادل، إنك مخادعة يا "كيرا""

قال أدريان باستياء.

"الحرب خدعة يا ابن الخال، ثم إنها ليست غلطتي أنك وقفت غير متأهب، فكما تدري القتال كان لم ينتهِ بعد"

ابتسم أدريان بينما ساعدته "كيرا" على الوقوف مردفة:

"هيا بنا من هنا؛ فالفجر قارب أن يحل، لنرى كيف حال شعر رئيس الخدم بخصوص مفاجأتنا الصغيرة له؟!"

ضحك أدريان ثم وقف متجها مع "كيرا" للنزول للقصر، كان مازال ممسكا بوجنته المصابة.

"هل تعلمين أن هذا المذنب مرتبط بالفعل بشكل غريب بالمحاربين القدامى الذين قيل إنهم يستطيعون التحول لأسود، الذين ذكرتيهم من قبل؟!"

"لم أسمع بتلك القصة من قبل يا أدريان"

"إنها ليست قصة، بعضهم يدعوها بالواقعة التاريخية، لكني أراها أسطورة، وهي أنه في آخر وقت ظهر فيه ذلك المذنب، توسل حينها ثاني هجين في التاريخ للملوك القدامى في وادي الأسود؛ كي يظهروا أن حقيقة روحه مختلفة وبالفعل حدث ذلك، يبدو على نحو غريب أن الأمر مرتبط بك كذلك؛ فأنت ثالث هجين في التاريخ"

لم تعقب "كيرا"؛ فقد حزنت لتذكر هويتها، يبدو أن أدريان لم يقصد تذكرتها، وأراد فقط قول مصادفة غريبة، تساءلت "كيرا" هل لو استطاعت

الذهاب لوادي الأسود والتوسل لن تظل هجينة؟ ولكن، تلك سخافة، فهي لن تتوسل لأحد، سار كلٌّ من "كيرا" وأدريان بخفة وهدوء محاولين تجنب إيقاظ أي شخص، حتى وقفا تماما أمام غرفة رئيس الخدم، حاولت "كيرا" التلصص من خلال عقب الباب، لكنها لم تستطع رؤية أي شيء.

"ماذا ترين؟!" تساءل أدريان.

"شششش، اخفض صوتك، أتريد أن يتم الإمساك بنا؟!"

بدت "كيرا" ضجرة، أخذت تفكر في كيفية إيقاظ رئيس الخدم دون أن يتم الإمساك بهما لكي يريا رد فعله إثر اكتشافه لمفاجأتهما، في النهاية لم تجد حلا سوى مخاطرة أن يتم إمساكهما كما أنهما لن يستطيعا سوى سماعه، نظرت لأدريان نظرة تدل على ما تشعر به، ثم تنهدت وطرقت الباب، لم يجبها رئيس الخدم فطرقت مجددا، سمعت صوت ضجر فحسب، زادت عدد مرات الطرقات وشدتها:

"سيدي، سيدي، سيدي إنها الخامسة صباحا"

طرقت مجددا: "سيدي، استيقظ"

حاولت تغيير صوتها قدر المستطاع.

لم أخبر أحدًا أن يوقظني، ارحلي الآن" سمعته يصيح.

"لكن سيدي، لقد أخبرني صديقك أن أوقظك مبكرا لأنه لا يستطيع القيام بعمله اليوم، أخبرني أنك ستحل محله اليوم، فأنت أكثر إتقانا لذلك العمل"

"عمَّ تتحدثين أيتها المزعجة؟! عن أي صديق تتكلمين؟!"

تسأل رئيس الخدم بانزعاج فأجابته "كيرا" بصوت رقيع:

"صديقك! صديقك الديك!"

أنهت جملتها محاولة كتم ضحكاتها، كان أدريان هو الآخر على وشك الانفجار، لكنه حاول تمالك ضحكاته.

"يا لك من وقحة! انتظري فقط وسترين ما سأفعله بك"

سمعت "كيرا" صوتًا يدل على وقوفه، لكن لم تمر ثوانٍ حتى سمعته يصرخ كالنساء طالبا النجدة:

"أنقذوني، أيتها الحقيرة، ماذا وضعتي بغرفتي؟! آآآآ النجدة، سيلتهمونني"

بدأ صوته بإيقاظ الموجودين بذلك الممر، ركض كلٌّ من أدريان و"كيرا" مبتعدين عن المكان وهما لا يتوقفان عن الضحك، مرت بضع دقائق حتى وصلا أمام البرج المخصص ل"كيرا"، وقفا يلهثان من الإرهاق.

"يا للهول قد بدى سخيفا للغاية، بدى صوته مشابه للديك حقا"

أردف أدريان من بين أنفاسه ضاحكا.

"لقد استحق ذلك، ألم يلقبني بألقاب سيئة همسا؛ نظرا لاختلاف لون عيني، لقد حصد ما زرعه، لكن الشكر الأكبر لجاسوسنا الخبير الأمير أدريان الذي علم بخوف رئيس الخدم الجم من الفئران."

قالت "كيرا" بنبرة درامية مبدية العرفان لأدريان.

"لا داعي للشكر، لا داعي للشكر"

تظاهر أدريان بأنه يلوح لجموع من الناس تحييه، ثم أكمل بجدية:

"لكنه بالفعل استحق ذلك؛ فقد تسبب بالإمساك بي أكثر من مرة في أثناء محاولتي للتسلل من القصر"

"أحاولت التسلل من القصر من قبل؟!"

تساءلت "كيرا" غير مصدقة.

"أجل، فقد أردت رؤية تدريبات المبارزة في كافة الأرجاء ليس في القصر فحسب؛ ليس لديك فكرة، يكون لديهم في بعض الأحيان تكتيكات غريبة، أمسك بي رئيس الخدم كثيرا، لكني في النهاية اكتشفت ممرا سريًّا"

"حقا؟!"

"أجل إنه في الطابق الثالث، خلف مؤن الطبخ جدار يمكن إزاحته يؤدي لحفرة صغيرة، تؤدي لممر يقود لخارج القصر، لا أدري من قام بحفر ذاك الممر، لكن ما أدريه هو أن لا شخص سواي يعرف بأمره حاليا"

"إنه لأمر رائع!"

قالت "كيرا" مفكرة في أن الحرية التي ينولها أدريان هي حقا مدهشة، فيستطيع الخروج من القصر دون علم أي شخص، كما أنه لديه شرفته الرائعة تلك التي يرى منها أجمل المناظر للسماء، ليت والدتها كانت متساهلة مثل خالها "نايلس"، ففي قصر العاصمة خلال خمسة عشر عاما، لم تستطع فعل ما فعلته هنا خلال ثلاثة أسابيع منذ مجيئها متخفية برفقة جنود لا تدري لمن ينتمون، لسبب ما تظل متخفية طوال الوقت، غرفتها منفصلة في برج لا يجوراها فيه أي

شخص، حتى لا يعلم بتواجدها سوى قلة، ربما هم أدريان وخالها وزوجته سيلين وبعض الخدم فحسب، لا تدري لماذا لا يخبرها السبب أحد، يبدو أنهم أنفسهم لا يدرون السبب.

"أدريان، هل استطعت معرفة ما سبب تواجدي هنا بقصر عاصمة المملكة الغربية بهذا الشكل المتخفي؟"

تساءلت "كيرا"، بدا على أدريان الحيرة لكنه أجاب:

"حاولت السؤال يا "كيرا"، لكن لا أصل لإجابة واضحة، لكن ما يبدو هو أن من يعرفون بأمر تواجدك هنا من عائلتنا هم عمتي دورسيرا ووالدي ووالدتي فحسب، ربما عمتي "أنستازيا" أيضا، لكن لا أظن أن عمي دومين يعلم، ربما لذلك يخفون الأمر كي لا يعلم"

"هل تعني أن مجيئي هنا هو نوع من الاتفاق بين والدتي وخالي "نايلس" دون علم خالي دومين؟! لكن ما السبب؟!"

"لا أدرى يا "كيرا"، لقد أخبرتك ما توصلت إليه، يجدر بي الانصراف الآن، فكما تدرين يجدر بي مرافقة والدتي في جولة الغد أو جولة اليوم على ما أظن"

أومأت "كيرا" مصافحة إياه مردفة بصوت ناعس:

"أشكرك على مغامرات البارحة يا ابن الخال"

"لا مشكلة، بدوتِ تشعرين بالملل حقا"

ابتسمت "كيرا" ثم تثاءبت متجهة لداخل البرج، بينما أدريان سار في الاتجاه المعاكس، لم يكن بأعلى برج في الوجود، في الواقع بدا ارتفاعه قصيرًا بعض الشيء، لكنه كان معزولًا، لا شك بذلك، ولا يستطيع أي شخص الوصول إليه سوى عبر دخول القصر من بوابته الأساسية والمرور بمئات الحراس.

صعدت "كيرا" درجات سلمه الملتف على هيئة دوائر على امتداد جدران البرج، حتى وصلت لنهايته حيث توجد عدة غرف متفرقة لا يسكنها أحد، لكن يتم تنظيفها والعناية بها دوريا، قيل أن هذا البرج كان مفيدا للغاية في السابق عند مجيء الشعبين لهذه الأرض في البداية، تم بناءه منفصلا منذ بداية وطأتهم لهذا المكان كي يرصدوا مجيء باقي سفنهم عبر البحر، ولم يكن ارتفاعه بالشاهق لحرصهم على أن يتم الانتهاء من إقامته سريعا، لكن الآن لا حاجة له، تم ضمه لباقي القصر عند بنائه، على الرغم من كونه منفصلا في البداية، إلا أنه صار بعد ذلك لا يمكن الوصول له مباشرة إطلاقا دون المرور بأكثر من جزء في القصر، لم يُستخدم كثيرا منذ أن انتهى الغرض الذي أُنشئ لأجله، ربما لاستقبال بعض الزوار أو ما شابه، بسبب مظهر البحر البديع الذى يظهره، وها هي الآن تسكنه بمفردها تماما، اتجهت "كيرا" لغرفتها ملقية جسدها على الفراش، لم تعبأ حتى بغلق الباب فهي تعلم أن أحدًا لن يزعجها، كانت غرفتها ليست واسعة كسابقتها في قصر العاصمة لكنها لم تهتم، بفراش ضخم في المنتصف، بضعة مقاعد ضخمة مرصوصة بشكل هندسي يشبه المستطيل غير الكامل بالقرب من نافذة متوسطة الحجم، احتوت الغرفة كذلك على بعض اللوحات الفنية مختلفة الحجم، إحداها

لمحارب مغوار يقود جيشه، وأخرى لقوم يقتلون بعضهم بعضا، لكن الغريب أنهم بدوا متشابهين في الملامح، بينما تظهر يد ضخمة من أعلى كل إصبع بها يدخل في رأس أحد هؤلاء القوم، لوحة لشخص يرتدي السواد ولا تبدو ملامحه إطلاقا، لا يبدو سوى أنه يمسك قوسا وسهما، ويقف وسط ما يشبه الخراب، أخرى لشخص يرتدي ملابس رثة وقبعة واسعة للغاية تخفي وجهه، ويمسك عصا طويلة تشبه الرمح من خلفه أمواج البحر الهائجة، وبالطبع لوحة لكوراخى وثنسيا موحدا الشعبين، طغى على الغرفة اللون الأحمر بشكل مبالغ به؛ فالسجاد أحمر، المفارش حمراء، الستائر حمراء، وبالطبع زهور حمراء تزين النافذة، نظرت "كيرا" لأعلى لترى، لا شيء سوى علوية الفراش حمراء اللون، شعرت بأن ذاك المظهر يجعلها تختنق، شعرت أنها داخل مربع صغير للغاية لا يمكنها الخروج منه، ابتعدت عن الفراش ساحبة الأفرشة والوسادة من أعلاه، ثم وضعتهم أرضا ثم نامت أعلاهم ظنا منها أن ذلك أكثر راحة بالنسبة لها؛ ففي النهاية لن يعترض أي شخص على هذا الفعل كما كانت تفعل والدتها، فلن يأتي أي شخص سوى الخدم للتنظيف فحسب، إنها بمفردها تماما.

*****

سكون، سكون فحسب، ثم صوت شيء يرتطم بشيء آخر بقوة، استيقظت "كيرا" مفزوعة، سمعت صوت خطوات منصرفة، ثم صوتًا يهمس بغل:

"هجينة قذرة!"

وقفت "كيرا" بغير اتزان تحاول تحديد مصدر صوت الارتطام، شعرت بالحقد يغزو قلبها حين أدركت ما حدث، فلم تكن تلك سوى إحدى الخادمات الموكلات بإحضار الطعام، وضعت الطعام على مائدة بقوة ثم انصرفت لاعنة "كيرا"، يا لها من شمطاء! من تحسب نفسها؟! تستطيع "كيرا" نفيها إن أرادت، ففي النهاية "كيرا" أميرة بينما الأخرى خادمة! خادمة عديمة التربية وأيضا جبانة! ألقت إهانتها بينما ترحل هاربة، فقط إن علمت من تكون، فكرت "كيرا" بغضب، تحركت صوب الطعام لتأكل ففي النهاية هي جائعة، لكنها وجدت مذاقه بشعًا؛ فقد كان الخبز جافا كالخشب، بينما اللحم بدا أنه مازال نيئًا، شعرت "كيرا" بمزيد من الغيظ، سحقا لهم جميعا، قامت برمي أوعية الطعام بما فيها بقوة أرضا، سحقا لهم، كانت تثور بداخلها، لكن فجأة تحولت كل تلك الثورة لجبال من الحزن، وقفت أمام المرآة الموجودة بالغرفة، وتأملت وجهها وعينيها مختلفتي اللون، ترددت بعقلها كل الجمل التي سمعتها منذ ذلك اليوم، منذ أن رأت نفسها بذاك المظهر للمرة الأولى:

‘أميرة هجينة’

‘جالبة العار’

‘سليلة إخوة الظل الملعونين’

‘جالبة اللعنة’

‘جالبة الدمار’

‘هجينة قذرة’

‘وحش، وحش، وحش’

لماذا؟! لماذا يلقبونها بذلك؟! إنها ليست كذلك، لم تكن أبدا كذلك، ولم ترد أبدا أن تكون كذلك، إنها تكره إخوة الظل، لطالما كرهتهم ولم ترد شرًّا أبدا لقومها، ربما كانت تتحيز للشعب الأصفر بصورة أكبر، لكن ذلك لشعورها فحسب بأن الشعب الأحمر يشعر بضغينة ما تجاه الشعب الأصفر، همت أن تخبأ عينها الصفراء بخصلات شعرها الأسود، فقد تم أمرها أن تفعل ذلك على الدوام لكنها توقفت لوهلة، وقامت بالعكس مخفية عينها الحمراء تحت خصلات شعرها، لتظهر عينها الصفراء فحسب، ذكرها مظهرها ذاك بهيئتها السابقة وحياتها السابقة مع والدتها وإخوتها، ذكرها بمشاكساتها مع "فين"، وضحكات الصغيرة ثنسيا حين كانت تدغدغها، ذكرها بوالدتها التي على الرغم من صرامتها كانت تراها مثلها الأعلى، كانت دورسيرا بالنسبة ل"كيرا" هي الأم والأب، لكن في النهاية تركتها والدتها ترحل فحسب وكذلك أخوها "فين"، لم يحاولا التمسك بها أو إيجاد حل ما، شعرت "كيرا" بالحزن، وبأنها تفتقد حياتها السابقة، وتريد استعادتها الآن أكثر من أي شيء آخر، فكرت لوهلة أنها إذا خزقت عينها الحمراء قد تسترجع كل ذلك، ولمَ لا؟ لن يصيبها الأمر سوى ببعض الألم اللحظي فحسب، لكن ليت الأمر كان بتلك السهولة، أخفت "كيرا" عينها

الصفراء وهي تخرج من غرفتها متجهة صوب المطبخ، لتحصل على بعض الطعام الصالح للأكل، كان الصباح لم يسدل ستاره بعد، مازال ينشر أشعته من خلال نوافذ الممرات، لم يولِها أغلب من مرت بهم اهتمام، يبدو أن أغلبهم لم يدركوا هويتها على أيَّة حال، لكنها لمحت بعض النظرات المشمئزة من بعض الخادمات اللاتي أَشَحْنَ بوجوههن سريعا عنها حينما نظرت تجاههم، دخلت المطبخ سريعا، أكلت ما تراه أمامها، على أقل تقدير هو ليس ببشاعة ما بُعث لها بالغرفة، ليتها تجد بعض السمك فهي تفضله، لم يكن هناك سوى قلة قليلة بالمطبخ يبدو أن أغلبهم اجتمعوا بالاحتفال الذى أُقيم بساحة القصر؛ للترحيب بالأطفال الجدد الذين أبدت المرايا أن أرواحهم تنتمي للمملكة الغربية، حيث يتم إقامة احتفالات استقبال لهم بالقصر قبل ذهابهم لدور الرعاية المختلفة أو عودتهم لعائلتهم، إن كانت عائلتهم توجد بالمملكة نفسها التي أرواح هؤلاء الأطفال تنتمي إليها.

بالطبع ألقت عليهم سيلين والدة أدريان خطبة عن كم هم مرحب بهم، وكل ذلك الكلام المكرر قبل انطلاقها برفقة أدريان في جولتها في الأنحاء المختلفة لعاصمة المملكة الغربية، حيث تُقام تلك الجولة لمدة شهر بعد قانون المرايا، ويخاطب فيها أحد أفراد الأسرة الملكية أو مساعديهم عامة الشعب في كافة المملكتين ليخبروهم بأهمية الوحدة ونبذ العنصرية، وكل ذلك الكلام الممل ويوزعون عليهم بعض المؤن والأغذية، شعرت "كيرا" بالملل الجم، لم ترد الذهاب لغرفتها بعد؛ فقد علمت أنها لن تفعل شيئا، ستظل بمفردها تعد

الساعات حتى رجوع أدريان، لكي يقوما بأي شيء ممتع سوية، إنها حقا ممتنة لوجوده؛ أنه صديقها الوحيد في هذا المكان، ذلك الفتى ذو الطول المعتدل، البشرة معتدلة اللون، كل ما به معتدل، فهو يبدو كصبي عادي للغاية، لا يميزه شيء سوى أنه دوما يرتدي أكماما تخفي كلتا ذراعيه تماما، حتى في أكثر الأوقات حرارة، لكنها تحب قضاء وقتها برفقته، فهو يذكرها بأخيها "فين"، قبل أن يراها "فين" هجينة ليس فحسب، لكن أدريان لن يعود الآن إطلاقا، أستظل كل ذلك الوقت في غرفتها فحسب هذا سيكون مملًا، لكن لمَ لا؟! أضاءت تلك الفكرة ببال "كيرا" كالمصباح المتوهج، سارت "كيرا" في أرجاء المطبخ باحثة عن مكان المؤن، لحسن الحظ لم يلاحظها أحد، لم تتردد للحظة بدفع المؤن من أمامها، ثم محاولة إزاحة الجدار من خلفها، ثم إعادته لمكانه بعد دخولها للفتحة المؤدية لها، كانت مظلمة لكنها تؤدي لممر ذي سقف منخفض مضيء بعض الشيء، سارت فيه بهدوء، سمعت بعض الأصوات القادمة من أعلى الممر، كانت لخادمات يتسامرن، يبدو أن ذلك الممر يقع مباشرة أسفل جزء يشغله الناس من القصر، لم تهتم في البداية بحديثهن، فلم يكن سوى محض هراء حيال خطبة أحداهن، وكم أن من خُطبت له يحبها، وكل ذلك الملل، لكنها فجأة شعرت بالحقد يتملكها حيال سماعها لباقي الحديث:

"على الأقل الآن يمكنك الزواج والتخلص من العمل في هذا القصر خاصة بعد اللعنة التي حلت عليه"

"أنت محقة، لم أتصور في يوم أن نخدم الوحوش القتلة! لا أدري كيف لم يتخلصوا من تلك الملعونة؟! هل وصلنا إلى ذلك الحد؟!"

"أي هجين يجب قتله فورا، فقط لأنها ابنة الأميرة دورسيرا تستمر بالعيش، لكن ذلك لن يطول قريبا، سيتشجع أحدهم ويقتلها ويجلب لنا الخلاص."

"ليت كان بوسعنا فعل شيء، وتحرير قومنا من تلك اللعنة ألا تكفي لعنة المرايا؟"

"سمعت أن إحداهن كادت أن تضع السم لها في الطعام، لكنها شعرت بالخوف في اللحظة الأخيرة وتراجعت عن ذلك خوفا من أن تُعدم إثر ذلك"

"تُعدم؟! هل تمزحين؟! إنها لصارت بطلة!"

لم تستطع "كيرا" تصديق بل استيعاب كل ما سمعته، أتفاقم الأمر لذلك؟! شعرت "كيرا" أنها تريد هدم ذلك السقف الفاصل بينها وبينهما ونحر عنقيهما، كلا، بل قطع ألسنتهم أولا وإزالة أظفارهم ورؤيتهم يتألمون إثر ما قالتاه عنها، ثم قتلهما بعد سماع توسلاتهما بموت سريع، أرادت إيجاد تلك الحقيرة التي أرادت أن تضع السم في طعامها، أرادت "كيرا" عماها، وتجويعها، ثم وضع صحنين يحتويان على الطعام نفسه أمامها أحدهم يحتوى السم، والآخر لا يحتوي، ثم تركها تتعذب وهي لا تدرك أتموت من الجوع أم تخاطر بتناول الطعام المسموم أو ربما من الأفضل أن تكون خياراتها فحسب أن تموت من الجوع أو من السم، كم أرادت "كيرا" فعل ذلك، ثم الصياح بوجوههم أنها ليست وحشا أو ملعونة أو أي من تلك الألقاب البشعة! حين تعود فحسب ستعلم زوجة خالها سيلين

بأمر تلك الخادمات، وسترين حينها كم كن بطلات بحديثهن هذا، هؤلاء الشمطاوات، أمسكت "كيرا" حجرا من على الأرض ثم أخذت تضرب به السقف بأقصى قوتها، سمعت صراخ الخادمات مذعورات من ذلك.

"ياللهول ما كان هذا الصوت؟!"

"لا أدري، لكن لا يعجبني الأمر لنرحل من هنا الآن، ونستكمل عملنا في مكان آخر"

ما بالكن الآن أيتها البطلات الشجاعات اللاتي لا تهبن شيئا؟! فكرت "كيرا" بسخرية، سارت مكملة طريقها حتى خرجت من الممر، كانت نهايته تؤدي للجزء الخلفي من القصر حيث يوجد البحر، لحسن الحظ لم يوجد حراس بذاك المكان، يبدو أن لا أحد يهتم بذاك المكان كثيرا بسبب عدم توقع مجيء أحد إليه في المقام الأول، حقا لم تهتم "كيرا" بالأسباب، لم تهتم سوى بالبحر الذي ركضت صوبه رافعة أذيال ثوبها لتضع قدميها به، كان صافيًا للغاية، لكن المذهل هو أنها حينما وضعت قدميها بالماء ظهر ما يشبه اللمعان الأزرق حاوط قدميها ثم انتشر مبتعدا حتى اختفى، اتسعت عيني "كيرا" بانبهار، أخذت تتحرك لترى ذلك الأمر يتكرر، كان ذلك مدهشا حقا؛ قد رأت البحر من قبل وسبحت به، لكن لم ترَ مثل ذلك من قبل، المملكة الغربية حقا مميزة بجمال في الطبيعة لم تعهده من قبل، أخذت تلهو قاذفة الماء بقدميها، تظاهرت أنها تلاعب الصغيرة ثنسيا، كان تظاهرًا لكنه أسعدها قليلا، مرت بضع لحظات حتى قررت الجلوس أمام البحر متأملة إياه فحسب، في أثناء جلوسها شعرت بما يحك يدها بعض الشيء،

لتجد أنها صدفة، بيضاء اللون ذات شكل قوقعي، تنهدت "كيرا" ثم أخذت تحادث الصدفة:

"أتدرين؟! لا أعلم كم أبعد عن عائلتي وأنا أجلس هنا، أعتقد أني إذا عبرت هذا البحر شرقا فسأصل للشلال المتساقط من جبل المرايا ثم منه أستطيع الوصول للقصر بالعاصمة، أتصور أن والدتي الآن مستاءة حيال أمر ما، بينما "فين" يتأمل الكون من نافذته وثنسيا."

ضحكت ضحكة مكتومة ثم أكملت:

"غالبا تفكر بجدية كيف يمكنها أن تحصل على جناحين كالفراشات"

سادت ابتسامة وجهها ثم تلاشت بعض الشيء:

"أتعتقدين أنهم يفكرون بي؟! أنهم يفتقدونني؟! ما أدريه جيدا هو أني أفتقدهم طوال الوقت يا صدفة، قالت لنا المربية في إحدى قصص ما قبل النوم من قبل أن فتاة حينما اشتاقت لوالدها البحار أرسلت له رسالة في صدفة، أدرك أن كل هذا ليس سوى هراء ربما تصدقه ثنسيا فحسب لكنني حقا، أرجو أن تخبريهم كم أشتاق إليهم"

قالت "كيرا" جملتها الأخيرة هامسة ثم وقفت ورميت الصدفة إلى أبعد مسافة استطاعت أن تصل إليها رميتها داخل البحر، أخذت الرياح تطير خصلات شعرها بقوة، سعدت بذلك في البداية حتى أدركت أن ذلك يظهر عينيها الاثنتين، سارت مبتعدة عن المكان بأكمله خاصة حينما لمحت حارسا يقترب من على بُعد، أخذت تتجول في شوارع المدينة مبتسمة، لكنها حرصت في

تلك المرة على إخفاء عينها الصفراء بشعرها تماما، كانت تلك الشوارع بديعة تحتوى على أعلام حمراء معلقة في الأرجاء، شوارع مرصوفة وكثيرٌ من الزهور والأعشاب المقلمة والنافورات الجميلة، تتصاعد حول الشرفات الصغيرة أعشاب تحاوطها الزهور الحمراء الساحرة، لم ترَ "كيرا" المدينة من قبل سوى بالكاد من نافذة عربة عند قدومها للمملكة الغربية فحسب، كانت المدينة مزدحمة، تجار يبيعون بضائعهم المختلفة أقمشة، فواكه، أوعية، نساء يسرن جاذبين أطفالهن الصغار في يدهن، أطفال يلعبون سويا، حتى إنها رأت بعض المشاجرات على وشك الحدوث، لكن الحراس كانوا يخمدونها من قبل اشتعالها، لم تدرِ أتكون الأمور دوما بذلك الصخب في المدينة أو هذا الحي بوجه التحديد أم أن اليوم مميز، أكملت "كيرا" السير دون وجهة محددة، يكفي تلك الأجواء فحسب، إنها بالتأكيد أفضل من الجلوس في الغرفة والشعور بالملل حتى الموت، لمحت طفلين يلعبان ما يشبه المبارزة بسيوف خشبية، فتى وفتاة يبدوان قريبين منها في السن، يبدوان متشابهين للغاية؛ لدى كل منهما شعر برتقالي وعيون حمراء، بدت المبارزة مسلية، لن تكذب "كيرا" فقد أرادت مشاركتهما، اتخذت موضعا قريبا بعض الشيء منهما وأخذت تراقبهما حتى تحدثت تلقائيا:

"تلك ضربات رائعة حقا"

توقفت الفتى والفتاة عن اللعب ناظران إليها:

"هل تتحدثين إلينا؟!"

تساءل الفتى.

"أجل، لم أقصد مقاطعتكما، لكن تلك ليست ضربات شخصين هاويين فحسب، قد تم تدريبكما، أليس كذلك؟"

"أجل، فجدنا جندي سابق في الجيش، يدربنا من حين لآخر"

أردفت الفتاة مبتسمة ثم أكملت مقتربة من "كيرا" ثم اقترب الفتى كذلك:

"أنا أدعى نورا وذلك هو أخي التوأم"

"أدعى هان" أعقب الفتى.

"أنا أدعى "كيرا""

لم تفكر "كيرا" حتى عند تقديم نفسها، فقد علت وجهها ابتسامة متسعة.

"لقد خضعنا مؤخرا لقانون المرايا واستجيبت صلوتنا، فقد انتهى أمرنا هنا مع عائلتنا"

قال هان ثم تساءلت نورا:

"ماذا عنك يا "كيرا"؟"

لم تدرك "كيرا" بمَ تجيب هذه المرة، حكت عنقها ثم ترجلت إجابة سريعة:

"أأأ.. أنا كذلك خضعت لقانون المرايا، لكن لحسن الحظ، فخالتي تعمل هنا بالقصر لذا لست بمفردي"

"هذا مدهش، إنه من المريع ترك العائلة والبقاء في دور الرعاية تلك، أسمع أن التعامل فيها يكون سيئًا للغاية، لحسن الحظ أنك لست بمفردك هنا يا "كيرا""

أعقبت نورا، ابتسمت "كيرا" بارتباك مجيبة:

"أجل لحسن الحظ"

"إذن أنت تعلمين بعض التكتيكات أيضا، بما أنكِ تسكنين في القصر مع خالتك؟ أتودين مشاركتنا في المبارزة؟"

تساءل هان، ابتسمت "كيرا" ثم أومأت.

"حسنا ، فلتبدئى أنتِ ونورا، والفائز منكما هو من سيواجهني"

"يا لك من مغرور، يحسب نفسه الأكثر براعة"

قالت نورا محادثة "كيرا" بينما أعطى هان السيف الخشبي ل"كيرا"، وقفت كلتا الفتاتين في مواجهة بعضهما بعضا:

"هيا يا "كيرا" فلنريه أن كلانا لا يُهزم"

أردفت نورا ضاحكة، أخذت الفتاتان تحاولان الفوز، لكن نورا كانت سريعة، في النهاية لم تستطع "كيرا" ملاحقة حماية نفسها من ضربات خصمتها.

"لا بأس يا "كيرا"، قد قاتلتِ جيدا"

حاولت نورا مواساتها، أكمل هان:

"أجل كان لا بأس بكِ"

"لا بأس يا رفاق، فالحظ دوما يرافق المبتدئين"

ضحك ثلاثتهم ثم انسل إلى أذن "كيرا" صوت أبواق قريبة:

"ما هذا الصوت؟!"

تساءلت "كيرا".

"إنها الخطبة التي ستلقيها الدوقة سيلين بالميدان العام، هيا بنا"

هتف هان بينما أسرع بالركض متجها صوب الميدان، هرعت نورا كذلك وحاولت "كيرا" اللحاق بهم غير مدركة سبب حماسهما لسماع الخطبة المملة.

"ما العظيم بتلك الخطبة؟!"

تساءلت "كيرا" لتجيبها نورا:

"لسنا ذاهبين لأجل الخطبة، بل لأجل ما يليها، الدوقة تشرف على توزيع كثيرٍ من مئون الطعام على أهالي هذا الحي بعد الخطبة"

بالطبع! ظنت لوهلة أن التوأمين ذاهبان لأجل الخطبة المكررة لكنهما بالطبع سيذهبان من أجل المؤن؛ فهذا الأمر الأكثر منطقية في النهاية، وقف ثلاثتهم بين الحشد المتجمع أمام تلك المنصة العالية المزدانة بالزهور والنباتات المتسلقة ذات المنظر البديع، كان الحراس يحاوطون المنصة بينما تقف أعلاها سيلين وأدريان الذي ابتسم بجدية، كان أغلب الحشد من ذوي العيون الحمراء عدا قلة كانوا بعيون صفراء.

"يا شعب المملكة الغربية، أحييكم جميعا، بعد بضعة أيام، سيكون قد مر شهر منذ إخضاع أطفال المملكتين لقانون المرايا، وكما اعتدتم في تلك الأوقات، نذكركم بواجب نبذ العنصرية تماما، ولن يتم التهاون مطلقا مع أي شخص لا يفعل ذلك، أو مع أي شخص يخالف أو ينتهك أيًّا من القوانين، فلتعلموا ذلك دوما ولتعلموه لأطفالكم أن العقاب سيكون صارمًا"

أخذت سيلين تخطب بكلماتها تلك، بينما بدا الانزعاج على بعض الواق"فين"، هذا غريب إن كانت تلك الخطبة بالعاصمة الأم أو بالمملكة الشرقية التي زارتها مرة من قبل لكانت الخطبة ستبدو أكثر ودية من تلك، أكملت سيلين كلماتها، لكن "كيرا" لم تهتم بسماعها تلك المرة، فقد شعرت بالملل الذي يصيبها غالبا حين تبدي المربية نصائحها باستمرار، انسل إلى سمعها صوت شخص من الواق"فين" ينادي:

"أيتها الدوقة، أيتها الدوقة سيلين، هل بوسعي التحدث؟"

صمت الواقفون منتظرين إجابة سيلين، بينما سمحت له سيلين بالتقدم والإفصاح عما يريد قوله، تساءل الرجل بصوت عالٍ:

"أيتها الدوقة، نحن ننبذ العنصرية بكل أشكالها تجاه أي من الشعبين، بل بالأصح تجاه أي شخص يختلف عنا في المظهر في شعبنا؛ ففي النهاية الشعب ذوي العيون الحمراء والشعب ذوي العيون الصفراء هم شعب واحد"

"بالتأكيد هذا صحيح تماما"

أجابته سيلين بينما أكمل الرجل:

"لكن ماذا عن المهجنين أيتها الدوقة، أليس هؤلاء يجب نبذهم بل وإبادتهم تماما؟! إنهم ليسوا سوى أرواح ملوثة تجري بعروقهم دماء إخوة الظل"

"أجل، أنت محق تماما، لكن لماذا تخبرني بذلك؟"

صُدمت "كيرا" لسماع زوجة خالها تتفوه بذلك أمام جميع الناس.

"أيتها الدوقة، انتشرت الأخبار أن أحد الأطفال أظهرت مرايا الجهة الشرقية أن روحه هجينة ولم يتم إبادته فورا"

كان صوت الرجل حانقا، علت بعض الشهقات وازدادت الهمهمات في الأنحاء، شعرت "كيرا" بالغيظ يغزو قلبها إثر كل ذلك.

"أنا لم أكن متواجدة عند مرايا الجهة الشرقية حين تم عرض الأطفال، وإن حدث شيء مثل ذلك فالقرار في ذلك الأمر يرجع للملك"

"أيتها الدوقة ما يقوله الممسوس حين يلمس الحجر الواقع أمام المرايا أن نهايتنا ستكون على يد أحد يملك دماء إخوة الظل، ولكن من نسلنا"

لم تستنح الفرصة لسيلين بالإجابة حتى علت بعض الأصوات:

"المهجنون هم الشياطين!"

"سيدمرون كل ما فعله كوراخى وثنسيا!"

"يجب نحر عنق هؤلاء الوحوش فورا! ألا يكفي المرايا التي لعننا بها إخوة الظل؟!"

وصلت "كيرا" في ذلك الحين لقمة حنقها، كانت تشتعل، أخذت تخترق الواق"فين" أمامها بغضب وعجلة، لماذا يقولون ذلك؟! إنهم يلومونها على إثم لم ترتكبه! إنهم يلومونها على ما فعل إخوة الظل! إخوة الظل الذين تكرههم بقدر كره أي شخص آخر من الشعبين لهم، والآن صار بقدر كرهها لأغلب الواق"فين" في هذا المكان القذر، إن لم تدافع عنها تلك القذرة سيلين، بل وتوافق هؤلاء الواق"فين" الرأي فهي لا تحتاجها! فهي ستدافع عن نفسها!

""كيرا" إلى أين تذهبين؟!"

نادتها نورا بصوت عالٍ لكنها لم توليها اهتماما، بل أكملت التقدم

"لقد أخبرتكم أن القرار يعود للملـ.."

لم تكمل سيلين جملتها حتى صاح صوت عالٍ بغضب:

"المهجنون ليسوا وحوشا!"

ساد الصمت بينما حاول جميعهم النظر لمصدر الصوت، لحيث وقفت "كيرا" بالقرب من المنصة، شعرت بالشرار يتطاير منها بينما تنظر لها كل تلك العيون الواسعة:

"ماذا تقولين أيتها الفتاة الحمقاء؟!"

أردف أحد الواق"فين" بتعجب شديد.

"أنا لست حمقاء! بل أنتم الحمقى! تلومون أشخاصًا منكم على إثم ارتكبه أعداؤكم!"

صاحت "كيرا" بصوت يملؤه الغيظ.

"فلتتأدبي يا فتاة"

أردف الرجل بينما صاحت أخرى:

"لم يتم تعليمها بصورة سليمة، يا فتاة هؤلاء الذين تتحدثين عنهم يحملون دماء الشياطين! إنهم وحوش يستطيعون إبادتنا جميعا! كيف لك أن تقولي إنهم ليسوا كذلك؟!"

"إنهم ليسوا كذلك!"

صاحت "كيرا" مجددا.

"أيتها الفتاة أين أباكِ وأمكِ؟"

تساءلت سيلين، التفتت لها "كيرا" ناظرة جهتها بسخط، بدت الصدمة على ملامح سيلين إثر معرفتها لهوية "كيرا"، حاولت تمالك نفسها ثم نظرت صوب إحدى الحراس آمرة:

"خذها من هنا"

"يا فتاة أنتِ لم تري أحدهم لتعلمي كم هم بشعين، إنهم بحوافر وقرون! إنهم ذو هيئة مخيفة للغاية، لا تستطيع فتاة صغيرة مثلك النظر إليهم حتى!"

أردف أحد الواق"فين"، كم هم حمقى، أهذا حقا ما يحسبونه؟!

"أهذا ما تظنه؟!"

تساءلت "كيرا" بصوت عالٍ ثم قامت بإشاحة خصلات شعرها عن عينها الصفراء، ليبدو مظهر وجهها كاملا، علت الشهقات وازدادت العيون اتساعا، حتى الحارس الذي كان يتجه صوبها ليأخذها للقصر توقف ولم يتحرك، ابتعد عنها الذين كانوا يقفون بالقرب منها، وبدا الهول بعيونهم.

"أنا هجينة! وأنا لست وحشا! أترون؟! المهجنون ليسوا وحوشا!"

حاولت "كيرا" تبرئة نفسها من اتهاماتهم الزائفة، لكن شخصًا لم يجيبها، لم ترَ سوى وجوهًا خائفة، لمحت بعض الأمهات يخبئن أطفالهن خلف ظهورهن، ابتعدوا جميعًا عنها حتى الحراس نظروا لها بهول ووجل.

"ألا تفهمون؟! أنا لست مختلفة عنكم، أنا لدي عينان مختلفتا اللون فحسب"

أردفت "كيرا" شاعرة بالاضطراب، لماذا ينظرون لها بهذا الشكل؟!

بدا الخوف والدهشة على أغلب الواق"فين"، لكن سرعان ما تحولت وجوه بعضهم للغضب، وتطاير الشرر من أعينهم، بدت الأجواء مريبة بالنسبة ل"كيرا" لكنها ليست نادمة، ليست نادمة عن الدفاع عن نفسها. قاطعت أفكار "كيرا" صيحة أحدهم يعدو نحوها شاهرا سكينًا وهو يصرخ:

"أيتها الوحش!"

لم تجد "كيرا" حتى الوقت لاستيعاب ما يحدث، فقد كانت بالفعل قد دُفعت أرضا من قبل الرجل وصارت سكينه تعلو عنقها محاولة اختراقه، ثم اخترقت مقدمة سهم جبهته في لمح البصر، كاد ذلك يُسقطه أعلاها ويتسبب في اختراق مقدمة السهم البارزة من جبهته لجبهتها هي الأخرى، لكنها حاولت دفع رأسه جاحظة العينين عنها بضراوة مسقطة إياه أرضا بهلع، نظرت جهة الحراس الذين كانوا يقفون بالقرب منها منذ قليل، لتجدهم يحيطون بسيلين وأدريان حاميين إياهم، بينما ساد الهلع بين صفوف الواق"فين"، وصرخ بعضهم بينما هرع بعض آخر ليهرب من هذا المكان، لمحت نورا وهان يهرعان بعيدا ورمقتها نورا سريعا بنظرة خوف، بينما لم يولها هان نظره من الأساس، رأت أدريان يتجه صوبها ويزيح جسد الرجل الميت من أعلاها، ثم يساعدها على الوقوف، وقفت "كيرا" ببطء محاولة رؤية من رمى بذلك السهم ليخترق رأس الرجل الذي

حاول قتلها منذ ثوانٍ وسط كل تلك الفوضى، لتلمح مجموعة أخرى من الحراس غير المحيطين بسيلين يقفون بعيدا، أحدهم يحمل قوسا وسهاما، أحاط هؤلاء بامرأة لم تلمحها "كيرا" جيدا، لكن حين أمعنت النظر خطرت كلمة واحدة ببالها وهي 'أمي؟!'؛ فقد بدت تلك المرأة مشابهة لوالدتها، لكن هذا غير صحيح فتلك المرأة قصيرة، لديها شعر أسود طويل مموج، ترتدي فستانا فاضحا بعض الشيء، نظرت لها تلك المرأة بسخرية، ثم همست بشيء لأحد الحراس وانصرفت محاطة بحراسها، فجأة شعرت "كيرا" بمن يجذب ذراعها بقوة، لتجد أنه أحد الحراس، قامت بدفعه باستياء، ثم نظرت ووجدت سيلين صارت واقفة أمامها:

"أترين هذا المظهر؟!"

أردفت سيلين بتجهم مشيرة للفوضى الحادثة، ثم أشارت للرجل الذي حاول قتل "كيرا" منذ ثوانٍ:

"أترين ذلك الشخص الميت؟"

"لقد حاول قتلي!"

صاحت "كيرا" لكن سيلين أكملت بلهجتها السابقة نفسها:

"كل ذلك بسببك، دماء ذلك الرجل، الفوضى الأكبر الذي ستلي كل هذا، كله بسببك!"

علا وجه سيلين نظرة ازدراء خاتمة حديثها:

"أنت بالفعل وحش!"

نظرت لها "كيرا" بصدمة شاعرة بألم يعتمر صدرها، سارت سيلين مبتعدة يحيط بها بعض الحراس، ثم تبعها أدريان و"كيرا" يحيط بهم باقي الحراس، لطالما كانت سيلين لطيفة نحو "كيرا"، حتى حينما قالت ما قالته من قبل، جزء بداخل "كيرا" صدق أنها فعلت ذلك لإخراس الواق"فين" مؤقتا فحسب، لكنها كانت تعني حقا ما قالته.

*****

"سأفتقدك أيها البحار وكوراخى وثنسيا كذلك، الشخص الملتف بالسواد لست واثقة حياله فهو يشعرني ببعض الريبة، لكن أعتقد أننى سأفتقد رؤيته هو الآخر"

أردفت "كيرا" مستندة إلى الحائط، وهي تحادث اللوحة التي تظهر شخصا يرتدي قبعة كبيرة ويمسك ما يشبه الرمح، وتظهر من خلفه الأمواج الهائجة، لسبب ما ظنت أن لقب البحار يناسبه، كانت أكثر اللوحات التي تفضل التحدث إليها، شعرت بالراحة تجاهه لسبب ما.

"سأرحل أيها البحار، ليس لأبعد مكان، أظن أني سأبقى هنا في هذا القصر، لكن ربما في مكان آخر به حيث لا يتوجب على سيلين الاهتمام حيالي، يا لها من منافقة شمطاء! أنا أكرهها حقا أيها البحار! إنها مثلهم جميعا فحسب."

تنهدت "كيرا" ثم همست:

"لا يهم، لا أحتاج أيًا منهم، أنت صديقي أيها البحار و.."

فكرت قليلا محاولة التفكير بأي شخص آخر ثم أردفت بسعادة:

"وأدريان، هو الآخر صديقي، لقد ذكرتني أيها البحار، يجدر بي توديعه أو إلقاء السلام فحسب، فلا أدري إن كنت سأراه مجددا، أتدري شيئا أيها البحار؟ أنا لن أتخلى عنك، كلا بل لن أتخلى عن أي منكم"

قالت "كيرا" مشيرة للوحات الموجودة بالغرفة:

"لا يهمني إن كنتم جزءًا من أساس الغرفة، سآخذكم برفقتي"

أخذت "كيرا" تزيح اللوحات من على الحائط سريعا، ثم وضعتهم بجوار باقي أمتعتها.

"ساراكم لاحقا"

سمعت "كيرا" صوت خطوات تقترب من الغرفة، فخرجت سريعا لتجد أنها إحدى الخادمات، يبدو أنها أتت لنقل أمتعة الفتاة.

"أود نقل اللوحات مع الأمتعة"

تحاشت الخادمة النظر ل"كيرا"، ودخلت الغرفة سريعا لكن "كيرا" لمحت الاشمئزاز والغضب يعلوان وجه الخادمة، فقط إن علمت والدتها دورسيرا بكل ذلك، لقامت بنفي كل هؤلاء الشمطاوات، لكن "كيرا" لن تدع ذلك يمر مرور الكرام؛ فقامت بغلق الباب من الخارج ثم غلقه بالمفتاح، لترى الآن تلك الشمطاء كيف ستخرج من تلك الغرفة سوى بعد ساعات من النداء والصراخ، نزلت "كيرا" درجات السلم وهي مبتسمة بانتصار، بينما تردد لأذنها بالفعل صوت دقات الباب، يا للحسرة، إنه برج معزول، حظ سعيد إذن حتى تفقدي صوتك، فكرت "كيرا" بسخرية. لم تسِر طويلا حتى وصلت لساحة

التدريب حيث يوجد أدريان، كانت تشبه كثيرا تلك التي بقصر العاصمة لكن ككل شيء آخر في المملكة الغربية سادتها لمسة جمال أبدتها أكثر حياة، هل حقا لوجود آبار الحياة بكثرة في المملكة الغربية هذا التأثير على مظهر الأماكن؟! على عكس المملكة الشرقية التي سمعت أنها تبدو قاحلة بصورة كبيرة نظرا لندرة آبار الحياة بها، وبالفعل رأت ذلك بصورة قليلة عند زيارتها لعاصمة المملكة الشرقية من قبل، لمحت "كيرا" أدريان يتدرب على المبارزة في أحد الأرجاء برفقة فتى آخر يبدو من هيئته أنه ابن لأحد النبلاء، بدا أن أدريان لديه مهارات رائعة حقا في القتال، لم يلمحها الفتيان، اقتربت "كيرا" منهما محاولة عدم مقاطعتهما، لكنها توقفت حين انسل لسمعها صوتهما يتحدثان:

"حقا عائلتكم بأكملها الآن في وضع سيء للغاية بسبب الهجينة تلك، أخشى أنها إن ظهرت مجددا فقد تعم فوضى حقيقة"

كان ذلك صوت الفتى الآخر، أجابه أدريان:

" فوضى أكثر من تلك التي حدثت اليوم السابق، هناك رجل مات أمام أعيننا وأعين جميع الناس كما أنه حاول قتل ابنة عمتي"

"سمعت أن من قتله كان أحد حراس عمتك الأخرى "أنستازيا""

"لا أحد يتصدى لعمتي "أنستازيا" هنا أبدا، لكن والدتي استطاعت جعل حراسها يخمدون بواقي الفوضى التي حلت، إن لم تُطفئ تلك الشرارة لكانت أدت لنيران لا يمكن التحكم بها"

"هذا صحيح، لكن كل ذلك كان في البداية بسبب الهجينة تلك، إن لم تفعل ما فعلته لكان البارحة يوم جميل يحتفل فيه الناس فحسب"

شعرت "كيرا" أنها على وشك أن تخنق عنق هذا الفتى في أيَّة لحظة، أكمل الفتى:

"لكن حقا يا أدريان أكنت تعلم بوجود تلك الهجينة في القصر كل ذلك الوقت وتقضي الوقت معها كذلك؟! أدريان إنها هجينة تحمل دماء الأوغاد الذين تسببوا في لعنة شعبنا للأبد"

لم يجب أدريان.

"أدريان لا تخبرني أنك تصادق هجينة حقا!"

"كلا إننا لسنا بأصدقاء، لقد كنت أسايرها فحسب لشعوري بالشفقة حيالها لكنها، لا تعني شيئا بالنسبة لي"

"لكن.."

أكمل الفتى الحديث، لكن عند هذا الحد لم تنصت "كيرا" حقا، شعرت بدموع تتجمع في مقلتي عينيها وبألم يجتاحها، لكنها أغمضت عينيها مانعة دموعها من النزول، لقد كانت فحسب تتحدث عنه أنه صديقها، لقد كانت، لم تفهم "كيرا" لماذا شعرت بثقل شديد يجتاح قلبها، لكن عند ذلك الحد أوقفت تلك الأفكار فاتحة عينيها لتنظر جهة أدريان بألم شديد، أرادت أن تشعر بالمقت والكره تجاهه، لكنها شعرت بالألم فحسب، كلا إنها تكرهه، تكرهه بشدة، إنه ليس صديقها، لم يكن كذلك ولن يكون أبدا، إنها لن تحزن بسبب شخص كهذا

بل ستلقنه درسا! درسا جيدا يعلمه عواقب الشعور بالشفقة حيالها مجددا! أخذت "كيرا" تقسم بذلك وهي تسير مبتعدة.

*****

لم تكن غرفتها الجديدة مختلفة للغاية، فقط لم تعد ترى البحر، غير ذلك لم تهتم بشيء حقا بها، كل ما علمته أنها في الجهة الغربية السفلية من القصر، عكس الغرفة التي مكثت بها من قبل، والتي كانت بالجهة الشرقية، لم تهتم لتعلم من الوصي عليها الآن، لم تهتم لتعلم أي شيء حقا، تحدثت للوحات فقط بعض الشيء خلال تلك الأيام، وعزلت نفسها بالكامل بهذا المكان الجديد، التي لم تدر لكم من الوقت ستمكث به حتى تذهب لغيره، شعرت بكم حزن شديد يجتاحها، ولم تدر حقا ما السبب، كل ما تردد ببالها هي كلمات أدريان التي سمعتها منذ عدة أيام، وغيرها من الكلمات، لكن كلمات أدريان كانت هي التي لا يتوقف صداها برأس "كيرا". لكن اليوم لم تعد تحتمل تلك العزلة وذاك الملل، أرادت أن تخرج وتحادث شخصا ما، أي شخص، حاولت أن تذكر نفسها بأن اللوحات دوما موجودة إذا أرادت الثرثرة، لكنها على الرغم من ذلك تسللت لخارج غرفتها، فقد أرادت رؤية شيء جديد غير تلك الجدران المكررة، كانت الممرات جميعها مظلمة لا يضيئها سوى الشموع أو الشعلات، هذا طبيعي نظرا لوجودها الآن بالجزء السفلي من القصر، حيث لا توجد حتى نوافذ لرؤية العالم الخارجي، سارت كثيرا لكنها لم ترَ سوى غرف وأبواب مغلقة وممرات ممتدة، كادت أن تمل لولا سماعها ذلك الصوت يصدر من أحد الأبواب نصف المغلقة، كان صوتًا

لصليل سيف أو سيوف على ما يبدو، سارت "كيرا" سريعا صوب ذاك الباب وقد أصابتها بعض الحماسة، ثم حاولت اختلاس النظر دون أن يلمحها أحد، بدا أن تلك الغرفة هي غرفة تدريب للمبارزة أو ما شابه؛ فقد احتوت على بعض الدروع ودمى المبارزة، وخناجر كثيرة مختلفة رُصت فوق طاولة خشبية عريضة ودائرة تصويب، كانت مظلمة لا يضيئها سوى بعض الشعل كأغلب ما رأته في هذا الجزء من القصر حتى الآن، في منتصف الغرفة رأت شخصين يتبارزان، أحدهما شاب رشيق يرتدي درعا خفيفا ويمسك سيفًا معتدل الحجم، بدت حركاته سريعة ومحترفة، بينما الشخص الآخر كان يولي "كيرا" ظهره، بدا أقصر من الشاب الرشيق، يرتدي هو الآخر درعًا خفيفا أسود اللون يربط شعره خلف رأسه، كان يقاتل بخنجرين بهيَّي المظهر يقارب طول أحدهما السيف، لكن الآخر طوله عادي، لم يكن بخفة ورشاقة الشاب، لذا توقعت "كيرا" أن يخسر المبارزة حين انقض الشاب بضربة سريعة صوبه، لكن ذلك الشخص صدها بالخنجرين ثم ركل الشاب الرشيق، لكن ما تلى ذلك أصاب "كيرا" بالحيرة الجمة؛ فقد حاول الشاب الرشيق الهجوم مجددا، لكنه أخذ يرمش كثيرا كما لو كان لا يستطيع الرؤية جيدا، ثم بدأ تحريك رأسه سريعا كأنه يبحث عن منافسه، ما المشكلة إن خصمك يقف أمامك دون حراك، لماذا لا تسقطه فحسب؟! فكرت "كيرا" باستنكار، فجأة انقض ذلك الشخص بشراسة صوب الشاب الرشيق، تفادى الشاب الضربة، ولكن بدا عليه صعوبة الرؤية حتى أن إحدى الضربات أصابت ذراعه، ثم ركل الشخص درع الشاب بقوة مسقطا إياه أرضا، لكن الشاب

بحركاته السريعة استطاع لف نفسه سريعا مبتعدا عن خصمه، ثم وقف على قدميه مجددا معاودا الهجوم، وبدا أن نظره صار سليما، حدثت بعض المناوشات، انتهت بابتعاد الشخص ذو الدرع الأسود قليلا؛ فقد تفوق عليه الشاب الرشيق، وكان على وشك أن يتم هزيمته، لكن في أثناء هجوم الشاب الرشيق تكرر تشتته وصعوبة الرؤية مجددا، وأخذ يلتف يدور برأسه باحثا عن الشخص ذو الدرع الأسود، إنه أمامك مباشرة! أرادت أن تصرخ له "كيرا"، في تلك المرة بدا الشخص ذو الدرع الأسود كالفهد في هجومه، ضربات سريعة للغاية وشراسة غير عادية، والشاب الرشيق بكل سرعته وحركاته غير الاعتيادية لم يستطع صد كل ذلك تلك المرة، لم تلمح "كيرا" حتى سرعة بعض ضربات الشخص ذو الدرع الأسود، حتى كان الشاب الرشيق قد سقط سيفه أرضا، بل وسقط هو الآخر دون عودة تلك المرة، وقف الشاب مرتنحا قليلا يحاول الحفاظ على اتزانه بعد إعلانه لهزيمته مردفا:

"لقد صرت أسرع، أنا منبهر"

"وما الذي يفترض أن تبهرني أنت به؟"

أجابه صوت أنثوي مما أثار تعجب "كيرا"، فطوال تلك المبارزة لم تلمح أبدا وجه الشخص ذو الدرع الأسود، ولم يخطر ببالها أبدا أن هناك امرأة تحارب بذلك الشكل، خاصة امرأة بصوت كهذا.

"وماذا تودين مني فعله لأبهركِ؟"

تساءل الشاب وهو يبتسم.

"إن أخبرتك فلن يتم إبهاري"

أجابته تلك السيدة بصوت بدا أنه يتحدى الشاب بشكل ما، أو ربما بدا أنها أرادت أن تغازل الشاب، لم تدرِ "كيرا" فقد تحدث هذان الشخصان بطريقة أشعرتها بالتوتر وعدم الراحة، كاد الشاب يقترب من السيدة لولا أن عينيه سقطت صوب الباب ولمح "كيرا"، اتسعت عينا "كيرا" لأنه تم اكتشافها، ثم أخفت رأسها خلف الباب، مرت بضع ثوانٍ حتى أردفت السيدة بصوتها المعتاد الذي بدا لطيف على نحو ما:

"أظهر أو أظهري نفسك فنحن لن نلتهمك"

تنهدت "كيرا" ثم سارت لداخل الغرفة متوقعة ردود الأفعال المختلفة حين يعلمون من تكون، لكنها لتثبت لنفسها ولهم أنها لا تكترث سارت جهتهم، حتى وقفت أمامهم مباشرة، وفي عينيها نظرة عدم اكتراث، لكنها حين اقتربت كانت قد حددت بالفعل هوية السيدة، ربما لأن وجهها يبدو كنسخة حمراء الأعين من وجه والدتها دورسيرا:

""كيرا" سررت برؤيتك، جدر بنا التعارف مبكرا"

أردفت خالتها "أنستازيا" بابتسامة واثقة، ثم أعقبها الشاب الرشيق بابتسامة هو الآخر:

"سمو الأميرة "كيرا"، إنه لشرف لي أنا أقابلك"

ثم انحنى مقبلا يدها، كان ذلك غريب وغير متوقع؛ على الرغم من أنها اعتادت تعامل جميع الناس معها بشكل مشابه في العاصمة الأم، لكنها منذ

قدومها للمملكة الغربية أو بمعنى أصح منذ إظهار المرايا أن روحها هجينة، لم يعاملها أي شخص بترحاب، دوما مقتوها بشكل أو بآخر، لكن يبدو أن خالتها وذاك الشاب لديهم عقل سليم ويفهمون جيدا، ليسوا كفارغي الرأس الآخرين.

"اسمحي لي بتقديم نفسي أيتها الأميرة المبجلة، أنا الفارس نيكول من جبال الساحل أحد معاوني خالتك أميرتنا العظيمة "أنستازيا""

أردف نيكول بأدب وهو ينحني مجددا.

"بل هو يدي اليمنى لذا اطمئني تماما يا "كيرا" يمكننا الثقة به"

أردفت "أنستازيا" مبتسمة.

"إنه لشرف لي يا أميرتي "أنستازيا" أن تعتبريني يدك اليمنى، وشرف لي يا أميرتي "كيرا" أن تثقي بي"

أجاب نيكول فأومأت "كيرا" بسعادة

"لابد أن أميراتي يودان الحديث دون مقاطعة، اعذراني"

أنهى نيكول حديثه طالبا الإذن بالرحيل، فسمحت له "أنستازيا"، ثم انحنى مجددا لكل من "كيرا" وخالتها "أنستازيا" مقبلا يد كل منهما على حدى، ثم انصرف بخطوات رشيقة.

"سيري برفقتي يا "كيرا""

أردفت "أنستازيا" وهي تسير خارجة من الغرفة، فسارت "كيرا" لجوارها.

"هل يمكنني أن أسأل حيال أمر ما؟"

تساءلت "كيرا"، فأومأت "أنستازيا" مبتسمة.

"الطريقة التي كنت تقاتلين بها إنها غريبة ومدهشة حقا، فالفارس نيكول كان كثيرا يتصرف كما لو أنه لا يراك على الرغم من أنك كنتِ تق"فين" أمامه تماما!"

قهقهت "أنستازيا" ثم أجابت: "الشعبان الأحمر والأصفر يكرهان إخوة الظل، الشعبان يكرهان الحالمين، الشعبان يكرهان جماعة الزهرة الدامية"

لم تفهم "كيرا" ما علاقة ذلك بسؤالها، ولم تدر لماذا لا يتوجب عليهم عدم كره من ذكرتهم "أنستازيا" للتو، فإخوة الظل هم ألد أعداء الشعبين والحالمين ينتمون لإخوة الظل، بينما جماعة الزهرة الدامية هم قتلة مأجورون محترفون للغاية، يجعلون ضحيتهم ترى زهرة ملطخة بالدماء قبل أن يقتلوها. انتظرت "كيرا" أن تكمل خالتها إجابتها لكن "أنستازيا" لم تقل شيئا، فتساءلت "كيرا": ما علاقة ذلك بسؤالي؟!"

قهقهت "أنستازيا" مجددا ثم أردفت:

"يا عزيزتي "كيرا" ما أعنيه، هو أنهم يمقتون ما يمقتونه فحسب، يخافون فحسب، لا يحاولون التعمق فيما أمامهم، لا يحاولون تجربة ما يخشونه، الشعبان مملان للغاية."

تساءلت "كيرا" أهي غبية كي لا تفهم الإجابة أم أن كلام "أنستازيا" هو الذي يبدو غير مفهوم؟ نظرت ل"أنستازيا" بتساؤل فبدا على "أنستازيا" الملل

وأكملت: "أسلوب قتالي هو أسلوب قتال إخوة الظل قديما الذي يتبعه جماعة الزهرة الدامية حاليا، ألم يكن ذلك واضح في كلامي من قبل؟"

بدت "أنستازيا" جدية ثم ضحكت قائلة:

"ما رأيك هل أستطيع أن أبدو غير مفهومة كخالك ميستريو؟!"

ضحكت "كيرا" وقد استوعبت أن خالتها تحاول العبث فحسب، صحبة خالتها "أنستازيا" ممتعة بعض الشيء لن تكذب.

"كيف تجدين الحياة في القصر هنا؟"

تساءلت "أنستازيا"، لم تطل "كيرا" التفكير ثم أجابت السؤال:

"بغيضة.."

ضحكت "أنستازيا" قائلة:

"إنني منبهرة يا "كيرا"، فأغلب الناس لا يفصحون حقا عما يشعرون"

"أنا لست أغلب الناس"

"يبدو ذلك، مع الأسف أن سيلين لم تر ذلك"

"إنها حقيرة!"

أردفت "كيرا" بغضب ثم تداركت ما قالته لتوها عن زوجة خالها، فنظرت ل"أنستازيا" لترى بوادر الدهشة على وجهها، لكنها لم ترد الاعتذار فأكملت حديثها:

"أنا لن أعتذر إنها بالفعل كذلك"

"لكن "كيرا" يجدر بك الاعتذار، فهي ليست حقيرة إنها عاهرة!"

قالت "أنستازيا" وهي تنظر ل"كيرا" مبتسمة، تعجبت "كيرا" لألفاظ خالتها تلك، لكن سرعان ما ظهر شبح ابتسامة على وجهها:

"هل يسمح هنا بقول مثل هذا الكلام؟!"

"كلا"

نظرت "كيرا" ل"أنستازيا" غير مستوعبة تناقض إجابتها مع أفعالها.

"هل هناك ما أحتاج شرحه يا "كيرا"؟ أنا الأميرة "أنستازيا"، أفعل ما يحلو لي، يجدر بكِ فعل ذلك أنت الأخرى"

"ماذا عن القواعد؟!"

"أنت تحت وصايتي الآن يا "كيرا"، ستقضين هنا ما يقارب الخمسة عشر عاما، أريدنا أن نصير أصدقاء لذا فقاعدتك الأولى هي 'لا قواعد لك'"

نظرت "كيرا" ل"أنستازيا" بذهول غير مصدقة ما تسمعه:

"حقا؟!"

"بالطبع، فالأصدقاء لا يفرضون قواعد على بعضهم أليس كذلك؟! وأنا أريدنا أن نصير أصدقاء بحق، فهل نحن كذلك؟"

"بالطبع"

ضيقت "أنستازيا" عيناها وهزت رأسها مستنكرة:

ليس بعد، فعلينا أولا أن نعرف بعضنا، وحين أتأكد أننا صرنا أصدقاء بحق، سأريك غرفتي المميزة"

"غرفتك المميزة؟! ما تلك؟"

"إنها مميزة ورائعة مثلك تماما"

على الرغم من عدم فهم "كيرا" تماما لما تعنيه خالتها بتلك الغرفة، إلا أنها لم تستطع منع نفسها من الابتسام لمديح خالتها، فهي الأولى حقا التي لا تعاملها بمقت وكره منذ وطئها هذا المكان، ظنت أن أدريان هو الأول، لكن أتضح أنه ليس سوى خائن منافق، شعرت "كيرا" بالسعادة وهي تمشي في تلك الممرات المضيئة ببضعة شعلات إلى جوار خالتها "أنستازيا"، شعرت أن خالتها تلك مميزة بشكل ما، من الغريب أن والدتها دورسيرا لم تتحدث عن "أنستازيا" كثيرا، وأنها سمعت أن جدها الملك يمقت "أنستازيا" بشدة لسبب ما، حتى أنه لا يعترف بها ابنة له في بعض الأحيان، تساءلت "كيرا" عن أسباب كل ذلك، لكن فجأة خطر تساؤل مختلف للغاية ببالها:

"خالتي "أنستازيا"؟"

"أمممم؟"

"هل يمكنك تعليمي القتال؟"

*****